مدح النبی ﷺ عند أحمد شوقی (دراسة وصفية فنية)

AHMAD SHAWKI'S ADMIRATION OF THE PROPHET (PEACE BE UPON HIM): A METHODOLOGICAL STUDY

غلام عباس ندیم * / الدکتور محمد سلیم **

Abstract:
Ahmad Shawqi was one of the renowned religious poets of the Egypt. He earned popularity as a great Arabic poet and play-writer during the twentieth century. He had a great contribution in modern Arabic and Islamic literature. He served as an Islamic Arabic poet .He was born in Egypt. He went abroad to France for higher education. On his return to his country in 1894, he joined nationalist group and resisted British occupation in Egypt. He also became a prominent member of Arab literary culture until the British forced him to exile in southern Spain. He remained in Andalusia during 1914 to 1920. He then returned to Egypt. He was entitled: Amir al-Shuaraa in recognition of his contribution to Arabic literature. This article evaluates Shawqi's poetry in which he present biography of Holy Prophet (peace be upon him). His poetry shows his love to Islam and the Holy Prophet (peace be upon Him. The article describes his style, literary beauty i.e. terminology, similes, metaphors and illusions.

Key words: Ahmad Shawqi, Egypt, Arabic Literature of 20th century, Arabic Poetry, Sirah-Writings.

ويعد أحمد شوقی من أبرز شعراء مصر و العرب والمسلمين وهوأميرالشعراء فی العصر الحديث ۔ وكان محافظاً لدينه ﷺ ولغته ، وكان شاعراً عظيماً عربياً ومكثراً فی مدح سيد العرب والعجم . ولد أحمد شوقی بالقاهرة سنة ۱۸۶۸م فی مهد من مهاد الترف والثراء أی نشأ فی بيئة ارستقراطية مترفة وتربی بأسرة غنية وعلمية وأدبية۔[۱] أما أصله ،فهوالعربی والترکی واليونانی أصلاً ونسباً والمصری مولداً ووطناً۔[۲] وتعلّم أحمد شوقی بمدارس مصر علی المستوی الابتدائی والثانوی والعالی۔[۳] ولما بلغ الرابعة من عمره فدخل أحمد بمكتب الشيخ صالح فی حی الحنفی ، ثم انتقل إلی المبتديان أی المدرسة الابتدائية ثم إلی المدرسة التجهيزية ۔ فمنح المجانية مكافأة وتخرج فيها وعمره خمس عشرة سنة وحينما تمّ تعليمه الثانوی، ثم ألحقه أبوه

---

* باحث الدکتوراہ قسم اللغة العربية ، جامعة الكلية الحكومية فيصل اباد

** الاستاذ المساعد، قسم اللغة العربية ، جامعة الكلية الحكومية فيصل اباد

بمدرسة الحقوق .ليدرس القانون۔[۴] ثم التحق أحمد شوقى بمدرسة الحقوق .ومدح أحمد شوقى للخديوى توفيق. ۔وتخرج شوقى من قسم الترجمة فى سنة۱۸۸۷م ۔[۵] وكان أحمد شوقى طالباً ذهيناً وفطيناً وحريصاً على العلم كماوصلت ألينا أخباره من الأدب العربى الحديث ۔

وقد أرسله أبوه إلى فرنسا ليدرس الحقوق لمدة عامين ثم انتقل إلى باريس۔[۶] بعدعودته إلى باريس وقضى بها عامين وحصل فيهما على الإجازة النهائية. ثم سافر الى فرنسا ثم ذهب الى لندن والى البلاد الأوروبية الأخرى ۔ومكث أحمد شوقى فى باريس وشاهد مسارحها واتصل بحياتها الأدبية ۔ والتقى هناك بالشاعر الفرنسى "فرلين"وكانت الصداقة بينه وبين الأديب والشاعر اللبنانى الأمير شكيب أرسلان . وهوالذى أشار عليه بأن يجمع قصائده فى ديوان يسميه الشوقيات ۔[۷]

وعاد شوقى إلى مصر سنة ۱۸۹۱م وعين رئيسا للقلم الإفرنجى فى ديوان الخديوى عباس حلمى الثانى فى قصره. وفى هذه الفترة قام أحمد شوقى برحلة إلى الخارج ممثلاً للحكومة المصرية فى مؤتمر المستشرقين ألذى عقد فى مدينة جنيف بسويسرا سنة ۱۸۹۴م ۔[۸] وقدعاش فى القصرمن سنة ۱۸۹۲م إلى سنة ۱۹۱۳م مادحاً الخديوى عباس. ونظم أحمد شوقى فيه القصائد العربية بكل مناسبة أصبح شاعراً لأسرة الخديوى۔[۹] وقضى شوقى فى أسبانيا أربع سنوات منظوماً القصيدة الشهيرة فى هجاء الإنجليز ولأنه كان من رجال القصر ۔[۱۰]

وعاد أحمد شوقى إلى مصر سنة ۱۹۰م . فكان له فى محطة مصر استقبال حاشد كما ذكر فى قصيدته المسمى بعد المتنفى وكان الناس يحبونه فى مصر ۔[۱۱] وطبع ديوانه الشوقيات فى سنة ۱۹۲۷م . وأقيم له حفل تكريم عظيم .واشتركت فيه الحكومة المصرية و زعماء البلاد العربية إذ قدمت منها وفود مختلفة تمجّد شاعر مصر وتشيد بعبقريته ونبوغه ۔ وقد وضع الشعراء على رأسه تاج إمارة الشعر وأعترفوا بمهارته و فطانته فى هذا الحفل .وقد جاوا هولاء العلماء والأدباء من سائر الأقطار العربية[۱۲] وكان أحمد شوقى شاعراً واديباً عربياً ومن أشهر مؤلفاته فى النثر والشعر و منها: عذراء الهند، و لادياس أو آخر الفراعنة، وورقة الآس .والمسرحيات ومقالات اجتماعية والشوقيات .ودول العرب وعظماء الإسلام وغيرذلک. [۱۳] وعند ما يطالع باحث تاريخ الأدب العربى ,لا يجد فيه شاعر مثل أحمد شوقى .قد حظى مكانة رفيعة بين معاصريه، وكان موضع إجلال الناس جميعاً. وذلک لأنه ارتفع عليهم بثقافته الواسعة التى اجتمعت فى شخصيته من الإطلاع الواسع على الآداب العربية و الغربية كليهما كما قال مصطفى صادق الرافعى عنه :

"هذاالاسم الذى كان فى الأدب كالشمس من المشرق:متى طلعت فى موضع فقد طلعت فى كل موضع . ومتى ذكر فى بلد من بلاد العالم العربى اتسع معنى

اسمه ،فدل على مصر كلها كأنما قيل النيل أوالهرم أوالقاهرة ،مترادفات لا فى وضع اللغة ولكن فى جلال اللغة۔"[۱۴]

يكاد النقاد يجمعون على أن شوقى كان تعويضاًعادلاًعن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب بعدالمتنبى لم يظهر فيها شاعر موهوب يصل ما انقطع من وحى الشعر ، ويجدد ما اندرس من نهج الأدب۔ و ترك أحمد شوقى ميراثاً عظيماً فى الأدب العربى المعاصر[۱۵]واستفاد شعراء وأدباء العرب الذين جاوا خلفه من أفكاره و أحاسيسه وعلمه وأدبه ۔

وبعد نبذة وجيزة عن حياة أحمدشوقى ،الآن سأذكر موضوعات شعره حول مدح النبىﷺ وسأكشف عن محاسن أدبية فى شعره كلآتى:

وقد ذكر ملامح السيرة النبوية فى شعره ، فالسيرة النبوية وهى تعنى مجموعة ما ورد من وقائع حياة النبى ﷺ وصفاته الخلقية والخَلقية ، منذ ولادته قبل البعثة وبعدها وما رافقها من أحداث و وقائع حتى موته ،وتشتمل على ميلاده ونسبه ، ومكانة عشيرته ، وطفولته ،وشبابه ، و وقائع بعثته ونزول الوحى عليه ، وأخلاقه ، وطريقة حياته ، ومعجزاته ألتى أجراها الله تعالى على يديهﷺ ،ومراحل الدعوة المكية والمدنية ، وجهاده وغزواته ، والمراد من السيرة النبوية عند علماء الحديث، وهو ما أضاف إلى النبى من قول أو فعل أو تقرير أوصفة كما تعنى عند علماء العقيدة وأصول الدين ،أما عند علماء التاريخ فإنها تعنى أخباره ومغازيه.[۱۶] قد أمر الله سبحانه وتعالى با تباع نبيهﷺ فى كلامه المجيد [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُوْلِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرجُوْا اللهَ وَالْيَوْمِ الْآخِرَ وَ ذكر الله كَثِيْراً] [۱۷]

فظهر لنا من هذه الآية الكريمة أن نقتدى بالرسول الأكرمﷺ وإن كانت السيرة النبوية هى ما وردعن رسول اللهﷺ من قول أوفعل أوتقرير أوصفة، فأفعال النبىﷺ تبرز أكثر ما يكون فى السيرة.

فنجد المحاسن الأدبية فى شعره بكثرة كماهويأتى باستخدام الكلمات الموزونة التراكيب المتينة والأساليب الجيدة والصور والمعانى والأخيلة والأفكارالقيمة والموسيقى الشعرية والتشبيهات والاستعارات والمحاسن البديعية وغيرها۔

وقد استخدم أحمد شوقى الكلمات السهلة والجمل البسيطة كى يفهم القارى معانى الشعر بالسهولة وبغير دقة كما هو يقول فى قصيدته:

يا خير من جاء الوجود تحية	من مرسلين الى الهدى بك جاءوا
بيت النبيين الذى لا يلتقى	الا الحنأف فيه والحنفاء
خير الأبوة حازهم لك آدم	دون الأنام واحرزت حوا[۱۸]

وقد رأينا فى الأشعارالمذكورة بأن أحمد شوقى يقوم باستخدام الكلمات الموزونة والتراكيب العربية من ناحية سياقاتها مثلما :جاء والوجود وتحيةً ومرسلين والهدى و بيت النبيين والحنفاء وغيرذلک۔

و نجد فى شعره جميع الأساليب الأدبية.لأنه كان شاعراً واسع العلم وعالماً بجميع الفنون الشعرية وله ملكة تآمة فى ايجاد الشعروكذا نجد فى شعره الأسلوب العلمى الى حد كبير ومن ميزات أسلوبه العلمى: المنطق السليم والتخاطب العقلى والفكر المستقيم وأثرالقوة والجمال واصانة الحجة وسهولة العبارة وغير ذلک۔

فنجد فى شعره الأخيلة الخصبة والأفكار الواسعة والمعانى الجديدة عند نطالع شعره حول مدح النبى ﷺ كما هو يقول:

والعرش يزهو،والحظيرة تزدهى والمنتهى والسدرة العصماء
وحديقة الفرقان ضاحقةً الربا باترجمان شذية غناء (۱۹)

فنجد فى هذه الأبيات :المعانى الجديدة والصور الجميلة والأخيلة الخصبة كما هويقول: "والعرش يزهو".أما كلمة يزهو أخذت من زهو ومعناها :"يشرق" وكلمة "الحظيرة" ومعناها :الأخوية أى الشجرة الممنوعة التى توجد فى الجنة ۔ ويعرض احمد شوقى الصورة الجميلة فى هذا الشعر كما هو يقول :"يشرق العرش وتزدهى الجنة بسبب مولد النبى ﷺ وزاد حسن السدرة التى وقعت فى مقام المنتهى وشبه السدرة بالمغزالة العصماء وهى الغزالة تكون أقدامها بيضاء وتضحک حديقة الفرقان بالفرح بمجيئ خاتم النبيين ۔ وقد استخدم شاعرنا الصور البليغة والكلمات الجزلة فى شعره۔

ويمتازشاعرنا بالموسيقى الخارجية وهى الوزن والقافية ،يلتزم الشاعربالوزن والقافية فى جميع قصاءده المدحية خاصةً فى قصيدتى الهمزية النبوية ونهج البردة وهاتان قصيدتان شهيرتان فى أنحاء العالم العربى كماهو يقول فى قصيدته:" نهج البردة":

فاق البدور،وفاق الأنبياء ،فكم بالخلق والخلق من حسن ومن عظم
يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة حديثک الشهد عند الذايق الفهم (۲۰)

وقد استخدم شاعرنا هذه الأبيات البحر البسيط مثل الشعراء المتقدمين فى المديح النبوى۔وكذا نجد الموسيقى الداخلية وهى موسيقى الألفاظ والمعانى وملاءمتها مع المشاعر والعواطف التى تدل على مكانة النبى ﷺ الرفيعة بين خلق الله كلهم۔ واما الموسيقى الخارجية فهى التزامه بالوزن والقافية باتمام خاص ويأتى شاعرنا بالتشبيهات والاستعارات القديمة والمحسنات اللفظية والمعنوية ۔

ومن أهم ملامح السيرة النبوية المديح النبوى فهى كاللآتى:

المدح نقيض الهجاء.وهوحسن الثناء.يقال مدحته مدحة واحدة. والمدحة اسم المديح والجمع المِدَحُ والمدائح و الأماديح۔"(۲۱)

المدح فى الإصطلاح هوالثناءعلى ذى شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والعفة والعدل والشجاعة. وإن هذه الصفات عريقة فيه وفى قومه وبتعداد محاسنه الخلقية كالجمال وبسطة الجسم . وشاع المدح عندما ابتذل الشعرواتخذه الشعراء مهنة. ومن المادحين الجاهليين الذين بذلوا جهودهم فى هذا المجال مدحاً للملوك والأمراء ومنهم زهير بن ابى سلمى والنابغة الذبيانى والأعشى قيس وغيرهم ۔(۲۲)

ولاشک أن المدائح النبوية توالت منذ أن بزغت شمس الرسالة المحمدية على صاحبها الصلوة والسلام والشعراءالذين قد اشتهروا بالمديح النبوى فى تاريخ الشعرالعربى فأشهرهم حسان بن ثابت رضى الله عنه والنابغة الجعدى وكعب بن زهير وعبدالله بن رواحة والعلامة يوسف بن اسماعيل النبهانى والعلامة شرف الدين البوصيرى وأحمد شوقى وغيرهم كثيرون.

والآن سنذكر أشعار بعض من المادحين لسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم ، حسان بن ثابت رضى الله عنه الذى مدحه بالفصاحة والبلاغة ومطلع قصيدته ألتى صارت شهرة فى مشارق الأرض ومغاربها:

وأحسن منک لم ترقط عينى واجمل منک لم تلد النساء ۔۔۔۔(۲۳)

وقال الصحابى الجليل النابغة الجعدى مدحاً للنبى صلى الله عليه وسلم :

أتيت رسول الله جاء بالهدى وتيلو كتابا كالمجرة نيرا(۲۴)

وقال سيدنا عبدالله بن رواحة فى مدح سيد العرب والعجم :

نفسى الفداء لمن أخلاقه شهدت عمت فضائله كل الأنام كما

لو لم يكن فيه آيات مبينة بأنه خير مولود من البشر(۲۵)

ونظم العلامة يوسف بن إسماعيل النبهانى القصائد المتعددة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم كماهو يقول فى قصيدته (طيبة الغراء فى مدح سيد الأنبياء):

نورک الكل والورى اجزاء يا نبياً من جنده الأنبياء(۲۶)

فنظم العلامة البوصيرى القصيدة الشهيرة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وهى "البردة "ويقول فى مطلعها:

أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم(۲۷)

ومما لا ريب فيه أن أحمد شوقى يحتلّ مكانة سامية بين المادحين ،فإن قارئ ديوان شوقى يحس بقوةعمق الاحساس الدينى خلال دراسة شعره وهذا تدلّنا على أنه لم يتخذ موضوعاً دينيا محضاً أى قصيدة كاملة من قصائده،وإن كان هوينظم بعض الأبيات فى فكرة دينية أوعقيدة إسلامية ولكن الجزء المعظم لشعره الدينى يتعلق بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ،وكثيرا مانظم القصائد بأكملها فى مدحه عليه الصلوات والتسليمات۔ وجملة القول ،فنجد فهرساً طويلاً لاسماء الذين ساهموا فى مجال مدح النبىﷺ ۔وكان احمد شوقى احد منهم الذين مدحوا للنبىﷺ بحلاوة الايمان ،ومن الموضوعات التى تناولها أحمد شوقى فى شعره فهى كالاتى :

مولدالنبى صلى الله عليه وسلم ،ذكر الحسب والنسب وآباءه حتى اصطفائه أميناًعلى الرسالة ،رضاعته ، طفولته ،بيان كفالة جدّه عبدالمطلب وعمه أبى طالب، بيان شبابه فى طلب الرزق، ذكرعبادته فى غارحرا،بيان نزول الوحى فى غارحرا وأعطاه الرسالة والنبوة، بيان إيمان السيدة خديجة رضى الله عنها ،وسيدنا أبى بكر وسيدنا عمر، وسيدنا حمزة، وسيدناعلى والصحابة الآخرين رضى الله عنهم ، بيان هجرة حبشة وعداوة قريش لأصحابه صلى الله عليه وسلم وايذاءهم للمسلمين ،بيان هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة ،ذكر مبايعة الأنصار له وإعانتهم للنبى الكريم صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام ،غزواته صلى الله عليه وسلم ، أى غزوة بدر، غزوة أحد ، غزوة خيبر،غزوة حنين ، بيان فتح مكة زاد الله شرفا،بيان انتشارالإسلام فى جميع جزيرة العرب وخطبة حجة الوداع ووفاته صلى الله عليه وسلم ، شمائله الشريفة أى الجود والسخاء ، الصبر ، العفو ، الخلق العظيم ، الكرم ، الرحمة ، الشفاعة ، الشجاعة والبسالة ، العهد والوعد ، الحلم وغير ذلک۔ معجزاته، الإسراء والمعراج ، فضيلته على جميع الأنبياء والمرسلين ، التوسل والاستعطاف والاستمداد والاستغاثة والدعاء ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وآله وأصحابه أجمعين۔

وقد نظم أحمد شوقى القصاءد المتعددة فى موضوعات مختلفة ولكن لا تخلو أى قصيدة عن ذكر سيدنا محمد رسول ﷺو سيرته الطيبة.فكثيراً ما يذكرها فى قصاءده ۔ أما مشاعره الدينية فقد لعبت دوراً هاماً فى تكوين كثير من قصاءده كما نجد ذكر تعاليم دينه ونبيه ﷺ وذكر الشخصيات المسلمة البارزة و قصص التاريخ الاسلامى باعتناء خاص فى قصاءده ومن هذه القصاءد:"الهمزية النبوية "ونهجه البردة" قصيدتين طويلتين التين ستبكى الى الأبد بسبب حسنها الفنى وجمالها المعنوى والقصيدة الثالثة فى مدح النبىﷺ وهى (ذكرى المولد) ولكنها قصيرة وفى هذه القصاءد كلها لم يكتفى شوقى بمدح الرسول ﷺبل دعا المسلمين فى أقطار العالم

جميعاً الى اتباع نبيهم والعمل بأحكامه وتعاليمه وكذلك نجد المدح فى قصاءده الأخرى مثلما دول العرب وعظماء الاسلام كما هو يقول عن مولد النبى صلى الله عليه وسلم فى قصيدته الهمزية:

ولد الهدى فالكائنات ضياء و فم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائک حوله للدين والدنيا به بشراء (۲۷)

وأضاف أحمد شوقى حول ولادة النبى صلى الله عليه وسلم فى قصيدته ''نهج البردة'':

سرت بشائر بالهادى ومولده فى الشرق والغرب مسرى النور فى الظلم
تخطفت مهج الطاغين من عرب وطيّرت أنفس الباغين من عجم (۲۸)

وقد كتب أحمد شوقى قصيدته "نهج البردة" اتباعاً للبوصيرى وحاول أن يعرض أفكار البوصيرى ومعانيه طبقاً لنهجه الخاص۔ ومن حيث أن معنى "نهج" فى العربية طريقةً أو نموذجاً. فاذاً لا بد أن تكون هذه القصيدة تبعاً لقصيدة البوصيرى أى (القصيدة البردة) ۔ وتعد من أشهر قصاءده المدحية للنبى الكريم ﷺ المحافظ بمظاهر التقليد فقد جرى فى نظمها على المعتاد فى جمهرة شعره وكذا ويقول شاعرنا فى قصيدته " ذكرى المولد النبوى''عن مولده صلى الله عليه وسلم :

ويمشى نور أحمد فى ظلام الجهل يهزمه
وفى النيران يخمدها و فى الإيوان يثلمه
و فى المعوج من دين ومن دنيا يقوّمه (۲۹)

وفى قصيدة "نهج البردة" و"ذكرى المولد" يريد الشاعر أن يحقق عظمة الوليد بذكر الجلالة شأن هذا الحديث العظيم وخرق عادته كما أن أحمد شوقى يعتنى أكثر بتلك الأمور التى تظهر بسبب بعثة النبى ﷺ عند ما يذكر ولادته ومنها هدوم بيوت الأصنام ومحو الظلم والتعدى من سطح الأرض وهلاک الأمراء والحكام الطواغى ودمار القوى القاهرة الجابرة مثل الروم و الفارس التى كانت تذبح فيها الناس كالحيوانات ولا يغفل الشوقى عن ذكر الحدث الذى يعبر عن دمار ايوان كسرى ،وان كان هذا الذكر ليس جليا وواضحاً۔ وبجانب الأخر لا يشير اليه شوقى كمعجزة مولده ﷺ فقط .بل يجعله علامة سيطرة الحق وتغلبه وهولا يجحد بوجود البشاءر والأحداث ضمن المولد النبوى بل يشير اليها اشارات خفية والرموز والمصطلحات الخاصة ۔

فمدح شاعرنا للنبى ﷺ باسلوب منفرد مستخدما المصطلحات البلاغية والادبية۔ عند ما نطالع قصائد أحمد شوقى بالذوق البلاغى والفنى. فيتضح لنا أنه يستخدم المحاسن الأدبية الكثيرة فى قصائده المدحية مثل التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية والأنشاء الطلبى

والفصل والوصل والسجع والجناس والتصدير والطباق والتوجيه وغيرذلک. وهكذا يستعمل الكلمات السهلة وربما يستخدم الكلمات الصعبة والنادرة فی شعره. ونجد أيضا التراكيب المتينة والأساليب الجيدة القوانی الفائقة فی هذه الأبيات.

وقد ذكر أحمد شوقی فی قصيدته الهمزية عن طفولته صلی اللّٰه عليه وسلم بالصدق والأمانة فی صباه وهويقول عن طفولته صلی اللّٰه عليه وسلم ـ وهذه القصيدة المدحية مملوءة بالمحسنات اللفظية والمعنوية ومن ابياتها:

نعم اليتيم بدت مخايل فضله — واليتم رزق بعضه و ذكاء
فی المهد يستسقی الحيا برجائه — وبقصده تستدفع البأساء[۳۰]
بسوی الأمانة فی الصبا والصدق لم — يعرفه أهل الصدق والأمناء

قد ذكر شاعرنا شبابه صلی اللّٰه عليه وسلم فی طلب الرزق فی كتابه "دول العرب وعظماء الإسلام ":

كان رسول اللّٰه فی شبابه — لا يدع الرزق وطرق بابه
أیّ رسول أو نبی قبله — لم يطلب الرزق ويبغ سبله؟
موسی الكليم استؤجرا استئجارا — وكان عيسی فی الصبا تجّارا[۳۱]

وقد ذكر شاعرنا فی شعره عن شمائل النبی الكريم صلی اللّٰه عليه وسلم كالكرم والرحمة والشجاعة والبسالة ، والجود والسخاء ، والعفو والصبر ، والخلق العظيم والشفاعة والعهد والوعد والحلم وغير ذلک۔ نذكرها بالاختصار۔ ويقول بهذا الصدد:

البدر دونک فی حسن وفی شرف — والبحر دونک فی خير وفی كرم
والحسن من كرم الوجوه وخيره — ما أوتی القوّاد والزعماء[۳۲]

ونجد فی شعره الافتنان وبراعة الابانة والصياغة وتأليف الكلام ،فيجعل الشاعر فی بته الأول فوق البدر حسناً وشرفاً وفوق البحر خيراً أو كرماً۔ويجعله فی البيت الثانی أسمی من الجبال الشم قدراً وأروع من النجوم الزهر حسناً۔ ويقول أحمد شوقی أشعاراً فی مدح النبی ﷺ تعمقا ودقيقاً ۔فعواطف حبه تزخر وتموج فی قلبه۔

وقد ذكر شاعرنا فی خلق النبی ﷺ:

بنيت لهم من الأخلاق ركنا — فخانوا الركن ، فانهدم اضطرابا
وكان جنابهم فيها مهيباً — وللأخلاق أجدر أن تُهابا
فإن قُرنت مكارمها بعلم — تذلّلت العلا بهما صعابا
وفی هذا الزمان مسيح علم — يرد علی بنی الأمم الشبابا
يا من له الأخلاق ما تهوی العلا — منها وما يتعشّق الكبراء[۳۳]

فی هذه الأبيات يذكر شاعرنا عدد من الصفات المجيدة للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ،ومنها الخلق العظيم وقال الله تعالى عن خلقه صلى الله عليه وسلم: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}(۳۴)

وقال البراء: "كان أحسن النّاس وجهاً وأحسنهم خلقاً۔"(۳۵)

و قد ذكر شاعرنا عن شفاعته:

يامن له عزّ الشفاعة وحده وهو المنزّه ، ماله شفعاء
عرش القيامة أنت تحت لوائه والحوض أنت حياله السقّاء
تروى وتسقى الصالحين ثوابهم والصالحات ذخائر وجزاء(۳۶)

وقال احمد شوقی فی مقام اخر:

لواء الحشر بين يديـ ـک يوم الدين تقدمه
شفيعا فيه يوم يلو ذ بالشفعاء مجرمه
ففی يُمناک جنّته وفی اليُسرىٰ جهنّمه(۳۷)

فی هذه الأبيات يستخدم أحمد شوقی الألفاظ السهلة والمعانی الجيدة والتراكيب المتينة والأسلوب الرائعة والقوفی الفائقة كما نجد فی هذه الأبيات كثيرا من المحاسن الأدبية مثل التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز والفصل والوصل والانشاء والجناس والتصدير والسجع والطباق وغيرذلک.

والمعجزة عند جمهور العلماء من الأصول هی خرق العادة التی تظهر من النبی صلى الله عليه وسلم كدليل وحجة لتحقيق نبوته. فظهور الخوارق والمعجزات يكون عونا كبيرا لهم فی سبيل إثبات النبوة والإسلام لها ولذلک كثير من الأنبياء والرسل قد أوتوا المعجزات حتى تحقق عظمة نبوتهم ، ونبينا صلى الله عليه وسلم واحد منهم۔ وهذه الخوارق تسمى بالمعجزات فی المصطلح الدينی ، وعددها فی حياة النبی صلى الله عليه وسلم كثير ونجد ذكرها فی كتب الحديث كلّها۔

يقول أحمد شوقی:

أخوک عيسى دعا ميتاً ، فقام له وأنت أحييت أجيالا من الرّمم
والجهل موت ، فإن أوتيت معجزة فابعث من الجهل ،أوفابعث من الرّجم(۳۸)

وذكر احمد شوقی لبعض المعجزات فی قصيدته " الهمزية النبوية ":

ذعرت العروش الظالمين ، فزلزت و علت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم خمدت ذوائبها ، وغاض الماء

والآی تتری ، والخوارق جمّةٌ (جبریل) روّاح بها غدّاء [۳۹]

فی هذه الأبیات یذکر الشاعر الخصائص الفنیة مثل التشبیه والاستعارة والکنایة والمجاز والفصل والوصل والجناس والطباق والتصدیر وغیر ذلک.

الإسراء والمعراج تعدّ من أهم المعجزات النبویة ، وهی أبرز الفضائل الحمیدة للنبی صلی اللّٰه علیه وسلم ومیزته الممتازة۔ وبسبب أهمیتها رکّز الشعراء المادحون علی هذه الخارقة وتکلّموا کثیرا عن عظمتها ومجالها لأحداثها. و یقول شاعرنا حول هذا الموضوع فی "نهج البردة"

أسری بک اللّٰه لیلاً ،إذ ملائکه والرسل فی المسجد الأقصی علی قدم

لما خطرت به التفّوا بسیّدهم کالشهب بالبدر ، أو کالجند بالعلم

صلی وراءک منهم کل ذی خطر ومن یفز بحبیب اللّٰه یأتتم

وقیل: کل نبی عند رتبته ویا محمد ، هذا العرش فاستلم [۴۰]

بعد إمعان النظر یتضح لنا أن أحمد شوقی یستخدم الکلمات السهلة والمعانی الجیدة والتراکیب المتینة والصور الرائعة والخیال العمیقة المبتکرة والقوافی النادرة والتشابیة الجمیلة والاستعارات الجیدة کما یستخدم فی هذه الأبیات بعض مصطلحات لعلم المعانی والبدیع.

ذکر فضله ﷺ علی الأنبیاء والمرسلین:

الأنبیاء والرسل صلوات اللّٰه علیهم ، هم خیر خلق اللّٰه سبحانه وتعالی ، وفضّل اللّٰه تعالی بعض الأنبیاء والرسل علی بعضهم کما یقول : {تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلٰی بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن کَلَّمَ اللّٰهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ } [۴۱]

نظم أحمد شوقی علی فضیلة رسولنا صلی اللّٰه علیه وسلم فی أکثر قصائده وذکر خصائصه وفضائله کما هو یقول فی قصیدته " ذکری المولد":

له فی الرسل أکرمهم عریق الأصل أکرمه

خلیل اللّٰه معدنه فکیف یزیف درهمه

أبُوَّةُ سؤدد أخذت بقرن الشمس تزحمه [۴۲]

وقال احمد شوقی فی مقام اخر فی مدح النبی ﷺ:

قد نال (بالهادی) الکریم و (بالهدی) ما لم تنل من سؤدد سیناء

العرش تحتک سُدّة و قوائما ومناکب الروح الأمین وطاء

والرسل دون العرش لم یؤذن لهم حاشا لغیرک موعد ولقاء [۴۳]

ویقول فی قصیدته " نهج البردة" حول هذا الموضوع:

محمد صفوة الباری ، ورحمته وبغیة اللّٰه من خلق و من نسم

وصاحب الحوض یوم الرسل سائلة متی الورود؟ وجبریل الأمین ظمی
سناؤہ وسناہ الشمس طالعة فالجرم فی فلک ، والضوء فی علم (۴۴)

فی ھذہ الأبیات یستخدم الشاعر الکلمات السھلة والمعانی المبتکرة والجمل القصیرة والتراکیب السھلة المتینة وکثرة الفنون البلاغی مثل السجع والجناس والتصدیر والطباق والتوجیه والانشاء والتشبیه والاستعارة والمجاز وغیر ذلک.

عند ما نطالع قصائدہ المدحیة للنبی الکریم صلی اللّٰہ علیه وسلم یظھر لنا أنه یذکر واضحا فی مدائحه للرسول الأکرم صلی اللّٰہ علیه وسلم الفکر الصوفی وینظر للنبی الکریم صلی اللّٰہ علیه وسلم نظرة صوفیة مفرقة فی المحبة والتقدیس لدرجة أنه یجعله فی المرتبة العلیا بالنسبة لکل المخلوقات. ویقول فی قصیدته ''الھمزیة النبویة'':

یا خیر من جاء الوجود ، تحیة من مرسلین إلی الھدی بک جاء وا
خیر الأبوة ھازھم لک (آدم) دون الأنام وأحرزت حوّاء
ھو أدرکوا عزّ النبوة وانتھت فیھا إلیک العزة القعساء (۴۵)

وقال احمد شوقی فی قصیدته : نھج البردة فی مدح النبی ﷺ:

محمد صفوة البارئ ، ورحمته وبغیة اللّٰہ من خلق و من نسم
وصاحب الحوض یوم الرسل سائلة متی الورود؟ وجبریل الأمین ظمی
سناؤہ وسناہ الشمس طالعة فالجرم فی فلک ، والضوء فی علم
قد أخطأ النجم ما نالت أبوّته من سؤدد باذخ فی مظھر سنم (۴۶)

وقال فی قصیدته : " نھج البردة" :

إن جلّ ذنبی عن الغفران لی أمل فی اللّٰہ یجلعنی فی خیر معتصم
ألقی رجائی إذا عزّ المجیر علی مفرّج الکرب فی الدارین والغمم
إذا خففضت جناح الذُّل أسأله عزّ الشفاعة ، لم أسأل سوی أمم (۴۷)

بعد دراسة وجیزة لھذہ الأبیات المدحیة ،فظھر لنا بأ ن أحمد شوقی فھو شاعر النبی ﷺ وشاعر الاسلام وشاعر القران الکریم۔ وقد لعب دورہ کبیراً لکشف ظواھر السیرة النبویة ﷺ منظوماً بأسلوب بدیع ۔ ومن موضوعات شعرہ المدحیة : ذکر نسبه ﷺ و بیان رضاعته ﷺ وطفولته وأحوال جدّہ عبدالمطلب وعمه أبی طالب،وذکر شبابه ﷺ و کسبه ﷺ فی طلب الرزق، ونزول الوحی علیه ﷺ وعن قیامه فی غار حرا۔ وکذا یذکر أحمد شوقی وقعة السیدة خدیجة رضی اللّٰہ عنھا ،وسیدنا أبی بکر الصدیق رضی اللّٰہ عنه وسیدنا عمر فاروق رضی اللّٰہ، وسیدنا أمیر حمزة رضی اللّٰہ عنه، وسیدنا علی والصحابة الآخرین رضوان اللّٰہ علیھم۔

فیذکر أحمد شوقی عن هجرة حبشة وهجرته صلی اللّٰه علیه وسلم من مکة إلی المدینة المنورة۔ وقد ذکر شاعرنا غزواته صلی اللّٰه علیه وسلم ، أی غزوة بدر ، غزوة أحد ، غزوة خیبر ، غزوة حنین وغیرهم ۔ فیکشف شاعرنا عن شمائله الشریفة أی الجود والسخاء ، الصبر ، العفو ، الخلق العظیم ، الکرم ، الرحمة ، الشفاعة ، الشجاعة ، والوفا ، والحلم وغیر ذلک۔

فنجد المحاسن الأدبیة فی شعره بکثرة کماهویأتی باستخدام الکلمات الموزونة التراکیب المتینة والأسالیب الجیدة والصور والمعانی والأخیلة والأفکارالقیمة والموسیقی الشعریة والتشبیهات والاستعارات والمحاسن البدیعیة وغیرها۔

وقد استفاد أحمد شوقی من أمهات الکتب الصوفیة مثلما الفتوحات المکیة للشیخ محی الدین ابن عربی رحمة اللّٰه علیه والیواقیت والجواهر للامام عبدالوهاب الشعرانی رحمه اللّٰه علیه و أیقاظ الهمم فی شرح الحکم للشیخ أحمد بن محمد بن عجیبة الحسنی رحمة اللّٰه علیه۔ کما نجد أفکاره فی هذه الأبیات المدحیة ۔وشعره مملوء بالمحاسن الأدبیة مثل التشبیه والاستعارة والمجازوالخبروالانشاء والفصل والوصل والایجازوالاطناب والجناس والسجع والتصدیر والطباق والتوجیه واستخدام الکلمات السهلة والمعانی الرائعة والأسالیب المتنوعة والخیال الرائع والتراکیب المتینة الجیدة والقوافی وغیر ذلک.

وخلاصة القول فیه إن مدائح أحمد شوقی تجعل منه أحد کبار شعراء المدیح النبوی الشریف فی مصر والعالم العربی ولسنا مبالغین إذ قلنا إن قصائده فی المدائح النبویة تعد روائع ، أضافت الکثیر إلی فن المدیح النبوی الشریف فی مصر۔ ونری الیوم شعراء العربیة یتأثرون بدیوان الشوقیات ثم ینظمون علی منواله ، وفی هذا من الدلیل علی عظیم تقدیرهم وإعجابهم بالشوقیات علی وجه العموم ، ومدائحه النبویة علی وجه الخصوص۔ وقصاری بالقول ، نستطیع أن نقول عن شعر أحمد شوقی بالنکات التالیة:

۱۔ وکان أحمد شوقی من أبرز شعراء العرب و یلقب بأمیر الشعراء فی العصر الحدیث۔

۲۔ وقداختارأحمد شوقی فی شعره منهج الشعراء السابقین من الأمویین والعباسیین والأندلسیین ،ومن أهم موضوعات شعره،المدح ، والرثاء والغزل والوصف والفخر والخمرة والحماسة والحکمة والدین والسیاسة والاجتماع والتاریخ والإخوانیات والمسرح وغیر ذلک۔

۳۔ وکان أحمد شوقی شاعرا مکثرافی المدیح النبوی ﷺوأنشد خمس قصائد طویلة فی مدحهﷺ ومن هذه القصائد'' الهمزیة النبویة''و''نهج البردة''وهذه القصیدتین الطویلتین اللتین ستبقی إلی الأبد بسبب حسنها الفنی وجمالها المعنوی۔

۴۔ وقد تناول الموضوعات الكثيرة فى هذه القصائد المدحية للنبى الكريم صلى الله عليه وسلم۔

۵۔ بإمعان النظر يتضح لنا أن أحمد شوقى هو يمتازبجزالة الكلمات وسعة المعانى والحسن والجودة والقوة والمتانة والرصانة والخيال المبتكر وشدة التأثير ودقة التعبيروحسن الموسيقى من الإمام أحمد رضا خان لأنه تولد فى البيئة العربية وهو شاعر عربى أصيل۔

أما التوصيات حول هذه المقالة الوجيزة يمكن لنا أن نقول، كان أحمد شوقى يعد من أعظم شعراء العرب فى العصر الحديث ۔ وقد نظم خمس قصاءد فى مدح النبوىﷺ ولم يقم أحد بترجمتها الى اللغة الأردية وشرحها اللغوى والبلاغى بالتفصيل ۔ ونحن نقترح أن هذه القصاءد تحتاج الى أن تترجم باللغة الأردية وتشرح شرحاً لغوياً وبلاغياً .فاننا نقترح أيضاً بأن يترجم ديوانه "الشوقيات" كاملاً الى اللغة الأردية كى يستفيد بها الناس استفادة تامةً۔

الهوامش

۱، الأدب العربى المعاصر فى مصر ،شوقى ضيف، ط:۲/ ۱۹۷۲، دار المعارف ،القاهرة،۱/۱۱۰

۲۔ تاريخ الأدب العربى، حنا الفاخورى،ط۱/ ۱۴۲۲، المطبعة البولسية،القاهرة،۱/۹۷۲

۳۔ الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه،أحمد الإسكندرى ،ظ،۱/ ۱۹۲۸،دار المعارف،۱/۴۰۴

۴۔ شوقى شاعرالعصر الحديث، شوقى ضيف ،الدكتور،ط،۳/۱۹۶۷،دارالمعارف،مكتبة الدراسات لأدبية،القاهرة، ۱۱

۵۔ الأدب العربى المعاصر فى مصر ،۱/۲۱۳

۶ المصدر السابق ،۱/۲۱۴

۷۔ أحمد شوقى،إميل أكبا، الدكتور ،ط۱، ۲۰۰۵،دارالجيل، مصر ،ص:۴

۸۔ الموجز فى الأدب العربى وتاريخه ،حنا الفاخورى ط ،۲/ ۱۹۹۱ ،بيروت، دار الجيل ۹۷۲

۹۔ أحمد شوقى ،أمير الشعراء ، إيليا الحاوى ، ط،۱۹۸۰،دارالكتاب اللبنانى ، بيروت۱/۴

۱۰۔ دول العرب وعظماء الإسلام ،شوقى ،أحمد، حققه إميل أ۔ كبا،ط،۱/ ۲۰۰۵ ،دارالجيل ، بيروت، ۷

۱۱۔ الأدب العربى المعاصر فى مصر : ۱۱۳

۱۲۔ المصدر السابق۱۱۳

۱۳۔ وحى القلم ،لرافعى،مصطفى صادق مصر ، ط،۱،المكتبة المصرية ،۲۰۰۲،القاهرة،۱/۹۷۹

۱۴۔ أحمد شوقى أمير الشعراء ،۱/۳۴

۱۵۔ المصدر السابق۱/۳۴

۱۶۔ المصدر السابق۱/۳۴

۱۷۔ الاحزاب:۲۱

۱۸۔ دیوان الشوقیات ،شوقی أحمد، بیروت، دار الکتاب العربی، ۲۰۰۴، ط:۱، ۳۴

۱۹۔ نفس المصدر ۱/۳۴

۲۰۔ نفس المصدر۱/۱۹۷

۲۱۔ لسان العرب ، ابن منظور الافریقی، ط ،۱، نشر أدب الحوزة، ایران ،۱۴۱۰، ۴/۲۵۱

۲۲۔ القاموس المحیط ،مجد الدین محمد بن یعقوب الفیروزآبادی، ط ،۲/۱۹۸۷ ، مؤسسة الرسالة ، بیروت، ۳/۲۳۴

۲۳۔ دیوان حسان بن ثابت ،حسان بن ثابت الأنصاری ، ط ،۱/ ۱۹۶۷، دار صادر ، بیروت ،۱۰

۲۴۔ الروض الأنف فی شرح السیرة النبویة، السهیلی، عبدالرحمن بن عبدالله، ط ،۱/ ۱۴۱۰، دار احیاء التراث العربی، بیروت، ۴/۳۱۰

۲۵۔ بهجة المحافل وبغیة الأماثل فی تلخیص المعجزات والسیر والشمائل، یحیی بن ابی بکر بن محمد ،ط ،۱/ ۱۹۶۷ دار صادر ،بیروت ۲/۱۸۶

۲۶۔ المجموعة النبهانیة فی المدائح النبویة، یوسف النبهانی، ط ۲/ ۱۹۷۲، دار المعرفة، بیروت ۱/۲۰

۲۷۔ دیوان البوصیری، البوصیری ،تحقیق: محمد سعید الکیلانی ، ط ۲/ ۱۹۸۲، القاهرة، ۲/۱۲۳

۲۸۔ تاریخ الشعر العربی الحدیث ،أحمد قبش ،الأستاذ، ط ۱/ ۱۹۷۲، دار الجیل ،بیروت، ۷۰

۲۹۔ دیوان الشوقیات ،شوقی ،أحمد ،المقدمة الدکتور محمد حسین هیکل، ط ،۱/۲۰۰۴، دار الکتاب العربی ،بیروت، ۱۳۲

۳۰۔ المصدر السابق ، ۱۹۸

۳۱۔ الموسوعة الشوقیة أحمد شوقی، الأعمال الکاملة لأمیر الشعراء، جمعه ورتبه، إبراهیم الإبیاری، ط، بیروت، دار الکتاب العربی ،۱۹۹۸، ۵۴۳

۳۲۔ المصدر السابق ،۲/۳۵

۳۳۔ دول العرب وعظماء الإسلام ،۱/۹۸

۳۴۔ المصدر السابق،۱/۴۱۶

۳۵۔ القلم :۴

۳۶۔ الجامع الصحیح، القشیری ، مسلم بن الحجاج، ط ۱/ ۱۹۷۲، دار الفکر ، بیروت،۲/۲۵۸

۳۷۔ دیوان الشوقیات ،۱/۴۱

۳۸۔ الموسوعة الشوقیة ،۲/۵۵۵۶

۳۹۔ الشفاء بتعریف حقوق المصطفی، قاضی عیاض، أبو الفضل الحصبی ، ط :۱/ ۱۸۵۶، مرکز أهل سنت برکات رضا، ۱/۲۵۳

۴۰۔ دیوان الشوقیات ،۲۰۱/۱

۴۱۔ البقرہ:۳۵۳

۴۲۔ الموسوعۃ الشوقیۃ ۵۱۵۲/۲

۴۳۔ دیوان الشوقیات ، ۱۳۱۳۲

۴۴۔ المصدر السابق ،۱۹۵۲۰۱/۱

۴۵۔ المصدر السابق ، ۱۳۱۱۳۲

۴۶۔ المصدر السابق ،۱۹۵۲۰۱/۱

۴۷۔ المصدر السابق , ۲۰۸/۱